فلسفة برجسون

نشرت « الرسالة » الغراء بحثاً فيها لحضرة الأستاذ زكي نجيب محمود لخص فيه فلسفة برجسون أحسن تلخيص وأوفاه، وهي تلك النظرية التي تسود عالم العلم الآن، والتي صار لها الرجحان التام على كل ما خالفها من المذاهب والآراء.

وإني على شدة إعجابي بالطريقة الشيقة الواضحة التي عرض بها بحثه، وبما دعمه من الحجج القوية، والأدلة الساطعة التي تثبت بأجلى بيان ان الأصل في الكائن الحي هو الروح لا الجسم، وان الروح كائن مستقل بذاته، وانه هو الذي يسيطر على الجسم، وهو الذي يديره ويوجهه حسب ارادته الذاتية، وان الكائنات الحية من نبات وحيوان وانسان خلقت أنواعها خلقاً مستقلا، ووُضعت في الدرجات والمنازل التي عينتها لها الروح بمطلق ارادتها، لا بطريق النشوء والتطور؛ كما كانت تذهب الى ذلك الآراء المادية السائدة.

أقول مع إعجابي بذلك وبغيره مما شيد به أركان النظرية، وأقام عليه بناءها المحكم، أراه قد انتهى الى نتيجة لا تتفق مع هذه المقدمات، ولا تسير مع أحكام العقل؛ بل بعضها يناقض بعضا.

تلك النتيجة هي قوله في ختام بحثه: «هذه الحياة التي لا تفتأ تخلق وتغير وتبتدع، والتي تلتمس الحرية من قيود المادة هي الله (تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا)» فالله والحياة اسمان على مسمى واحد: ولكنه إله ذو سلطان محدود بقيود المادة، وليس مطلق الارادة كما تصوره الأديان: إلا أنه دائب في التخلص من أغلاله وأصفاده. وأغلب الظن ان الحياة ستظفر آخر الأمر الخ....

فنرى من ذلك أنه جعل الله والحياة شيئاً واحدا، وبعد أن وصف هذا الشيء بانه أساس الوجود وبأنه هو الخالق وهو الذي عين للحياة درجاتها ومراحلها وخلق لها أعضاءها ووظائفها، وسخرلها المادة تسخيرا، عاد فجعل هذا الشيء الذي هو الحياة، وهو الروح، وهو الله، خاضعا لقيود المادة، وأنه يجاهد ليتخلص منها. وهذا لعمر الحق تناقض لا يقبله العقل ولا يقول به أحد.

إنه لابد من أحد أمرين: فاما أن تكون الروح هي الأصل في الوجود والمادة طارئة عليها أو العكس. فاذا كانت الروح هي الأصل - كما ذهب الأستاذ إلى ذلك وبرهن عليه - فلا ريب في أن هذه الروح مستقلة الارادة مالكة لتمام حريتها، وأن وجودها لذاته لا يحتاج في قوامه إلى شيء، وأنه مطلق. فليت شعري ما هي العوامل التي جاءت بعد ذلك وأخضعت الروح للمادة الطارئة وقيدتها باغلالها وأصفادها؟ أما اذا كان العكس أي اذا كانت المادة هي الأساس، فهذا مالا يسعنا فرضه، لان النظرية لا تقول بذلك. بل أنها قامت على هدم هذا الأساس، وقد نجحت في ذلك نجاحا باهرا، حتى لا يكاد يوجد الآن من يقول به.

وعلى هذا يكون الغرض الأول — وهو أساسية الروح واستقلالها عن المادة وتسلطها عليها — هو الواجب التسليم به، ولا يكون ثمت معنى لارتباط هذا الروح بالمادة ارتباط خضوع، ثم لا أدري ماذا يريد الأستاذ بقوله: أن الله أو الحياة يجاهد ليتخلص من قيود المادة. فاذا فرضنا أنه نجح - كما توقع هو ذلك - فماذا يكون بعد نجاحه؟ وأي حالة يصبح عليها؟ أهي شيء غير استقلاله بذاته ونيله حريته التامة؟ ولماذا لم يكن ذلك من الآن بل ومن قبل مادام هو الاساس في الوجود؟

أما اعتباره الحياة كائناً مستقلا ذا شخصية موجودة تدافع وتناضل عن نفسها فما ذلك إلا وهم، لأن الحياة أمر معنوي لا يقوم الا في الذهن وليس له وجود في الخارج، وكذلك سائر المعاني الكلية مثل العلم والارادة والقوة فانها لا توجد في الخارج، بل الذي يوجد منها انما هو أفراد موصوفون بالحياة أو العلم أو الارادة أو القوة، وذلك مبسوط في كتب المتكلمين والمناطقة فلا حاجة للتوسع في شرحه هنا: واذا كان الأمر كذلك فما هي تلك الحياة التي يقول بوجودها وأنها هي الله؟ مع أنا لا نرى إلا أفراداً من الأحياء سواء أكانوا من نوع الانسان أم الحيوان أم النبات، وفي غير أفراد هذه الأنواع لا نرى للحياة وجودا.

الحقيقة أنا لا يمكننا اساغة النتيجة التي انتهى اليها حضرة الأستاذ الباحث بالصورة التي هي عليها، ولا يمكن التوفيق بينها وبين

المقدمات التي وضعت بين يديها . فدفعها هذه الاشكالات ، وتخلصا من هذه المتناقضات ، يجب أن نضعها على النحو الذي يحكم به العقل والمنطق ، بل الذي تقضي به البديهة : وهو أن نميز الروح التي قلنا إنها أساس الوجود ، وأنها تخلق وتدبر من الروح المخلوقة والخاضعة لقوانين الوجود ونواميس المادة ، ثم نميز كذلك هذه الروح المخلوقة والتي لها صفة الحياة من المادة المائتة ، ونعتبرهما متباينين في الجوهر وفي درجة الوجود ، وبعبارة أخرى تكون النتيجة هكذا :

ان للعالم روحا هي أساس وجوده ، وهذه الروح موجودة لذاتها لا عن شيء آخر ، ولا لعلة ، وان وجودها مطلق ، وسلطانها غير محدود ، وأنها هي التي أوجدت كل شيء بمحض ارادتها ، وهي التي خلقت المادة وخلعت عليها الحياة بجميع مراتبها . وهذه الروح يجب أن يكون لها كل صفات الكمال والبراءة من جميع شوائب النقص ، تلك الروح هي ذات الله تبارك وتعالى .

وما نظن هذه النتيجة تكون موضع بحث فضلا عن أن تكون موضع خلاف ، لانها هي التي يحتمها العقل والتي اجمع عليها رجال العلم والفلسفة في كل عصر — إلا شواذ لا يعتد بهم ممن يقولون بالحلول أو بوحدة الوجود كسبينوزا وجيوردانو وأضرابهما .

تلك هي ملاحظتنا نقدمها الى الأستاذ الفاضل عن إخلاص ، راجين أن يحلها محلها من الاعتبار ، ولا يفوتنا هنا أن نكرر إعجابنا وعظيم اغتباطنا بمبحثه النفيس وبجهوده الموفق

سيد احمد فهمي

هرمن ودروتيه

للشاعر الألماني الكبير

جوته

أخرجت لجنة التأليف والترجمة والنشر هذا الكتاب . وهو من أحسن ما ألفه شاعر ألمانيا الأكبر . وقد نقله عن الالمانية الدكتور محمد عوض محمد . وكتب المقدمة الاستاذ الدكتور طه حسين . ويطلب الكتاب من المكاتب المعروفة ومن ادارة اللجنة بشارع الساحة رقم ٣٩ وثمن النسخة خمسة قروش

خـــواطر !

صوت !

هي موسيقى كلها نشوة . موسيقى خفاقة مضطربة : يثيرها فرد بل تثيرها في الفرد يده اليمنى . وليست الموسيقى إلا تعبيراً عن الذوق والاحساس . وقد اشتهر المصريون من يوم خلقوا وأترابه بالذوق الرفيع ، والاحساس السامي . . .

والمصريون أمة مرحة طروب : واذا كان هناك شك فقد بطل الشك ، وأثبت نزعة المرح في أمتنا بائع العرقسوس !

في أحيائنا الوطنية وأنصاف الوطنية يسير هذا الرجل يحمل الى صدره آنية ضخمة ، خرج من فوهتها لوح من الثلج طويل يترجح بين البياض والسمرة . . . ويمسك بيده اليمنى وعاءين من النحاس الأصفر ، يتنافران أحياناً ؛ فاذا تجاذبا تعانقا ، وكانت قبلتهما تلك الموسيقى التي يضج لها الشارع ، وتطل عليها الملاليم ، وتملأ لها الكوبات ، ويحسوها الناس فرحين ، وتنفرج الشفاه عن لفظ الجلالة . . !!

وعلم الله أن بائع العرقسوس وشراب العرقسوس ، لا يستحقان هذا التقدير ، وليس من الذوق أن يثيرا هذه الضجة المزعومة ، وإلا كان لبائع الترهندى أو الرمالى أو جروبى أن يسير وفي معيته طبل بلدي . !!

تقليد !

يزعمون أن التقليد لا يفيد ، وأن المقلد أعرج بالقياس إلى صاحب الفكرة ، أو كالتل بالنسبة للجبل . ويعطينا الزاعمون أمثلة من الأدب . فيقولون : إن الأدب الروماني ظل للأدب اليوناني ، ولهذا كان الأدب الروماني ضعيفاً بالقياس الى أدب اليونان . ثم يعرجون على حياة الجماعة ، فيقولون : إن تقليد الناس للناس في مظاهر حياتهم معناه أن المقلد يستمر على ذيل القافلة يتطلع ولا يتقدم ، ويبصر ولا يفكر .

وسواء أكان هذا الرأي صواباً أم خطأ فأنا أرى أن تقليد الانسان للانسان هو قضاء على تفكير المقلد ، وعبودية